المقصد التخاطبي للعنوان ومناسبته للمقصد النصي في روايتي (وميض في جدار الليل) و(السهل) لأحمد نصر (دراسة تداولية)

د. محمود محمد ملودة

كلية الآداب - جامعة مصراتة

m.emluda@art.misuratau.edu.ly

تاريخ الاستلام 2023.03.16 تاريخ النشر 2023.05.30

الملخص:

يقع البحث ضمن السرديات التداولية، ويتناول روايتين ليبيتين هما: "وميض في جدار الليل" و"السهل" للروائي أحمد نصر، والمستهدف تقديم دراسة نقدية حديثة تطبق مبدأ المناسبة بالمفهوم المعرفي الذي قدمه الناقدان: "دان سبيربر" و"دريدر ولسون"، وبما أن الروايتين خضعتا لدراسات سابقة، توزعت مابين المناهج الاجتماعية والبنيوية والأسلوبية، وظلت مقاربة العنونة في الروايتين بمنأى عن الدراسة، وهذه الدراسة ترصد العلاقة بين المقصد من العنوان والمقصد التخاطبي النصي، وبذلك أمكن دراسة العناوين الرئيسة، من حيث الممثل منها للموضوع والمكان، ودراسة العناوين الداخلية، من حيث هي ممثلة حرفيًّا لشخصية روائية بشكل صريح وبشكل غير صريح، وخلصت الدراسة إلى أن ما يريد المؤلف تبليغه بالعنوان ليس هو ما تصرح به صيغته القضوية، إذ لا يريد المؤلف مجرد الإخبار، لأنه يعلم أن القارئ سيدرك ذلك من السياق الروائي، بل إن ما يريد إبلاغه غير صريح، وقد استعمل الإخبار الصريح فقط لأجل تمرير مقصده الضمني.

الكلمات المفتاحية: التداولية، المناسبة، القصد التخاطبي، الصيغة القضوية، المقصد الضمني.

The Utterance Intention of the Title and its Relevance to Textual Intention in A Flash in the Wall of Night and The Plain by Ahmed Nasr "A pragmatic study"

Dr. Mahmoud Mohamed Emlouda
Faculty of Arts, Misurata University, Libya

Abstract:
This paper falls within the pragmatic approach. It deals with two Libyan novels: "A Flash in the Wall of Night" and "The Plain" by Ahmed Nasr. The aim is to present a study that clarifies the principle of relevance in the concept presented by the two critics: Dan Sperber and Deiredre Wilson. The two said novels underwent some research under different approaches from social studies, structuralism and stylistics. However, the title and other paratexts of the same have not been considered. Thus, my paper is meant to deal with the title intention and the textual utterance intention. So, the main titles can thus be studied as being representatives of the theme and the place and so can the internal titles as being clearly or unclearly representing the narrative character. The paper concluded that what the author wants to convey in the title is not that revealed by his valuation. The author does not want to merely inform as he does know that the reader will realize that from the fictional context. In fact, what the author wants to inform is not clear but he uses the clear informing to pass his implied intention.

key words: Pragmatics, relevance theory, utterance intention, valuation, implied intention.

1- المقدمة:

1-1 مهاد علمي:

إن هذه الدراسة تتوسل المنهج التداولي لمقاربة العنوان، وتطرح مصطلح "المناسبة" بالفهم الذي يعود استخدامه إلى الثنائي؛ العالم الفرنسي دان سبيربر واللسانية الإنجليزية دريدر ولسون، ويعرفان اختصاراً بـــ"سبيبر وولسون"، فقد قدما تعريفا تأطيرياً للمناسبة، فهي "مسألة

جهد ونتائج"[1]، أي الجهد الإدراكي الذي يتطلبه تحليل القول. والدلالات الناتجة عن تحليل القول[2].

وقد توصل الباحثان إلى أن "الفعل التواصلي لا يحظى باهتمام المتلقي، ولا يفضي إلى أثر تأويلي إلاّ بافتراض أن هذا الفعل التواصلي يشتمل على ضمان بالمناسبة، لأن تفسير الملفوظات ليس عملاً مجانيًّا، بل هو عمل يكون جزاؤه تحصيل بعض الآثار المعرفية"[3]، فالمرتكز الأساسي لنظرية المناسبة هو "تبين الطريقة التي تتفاعل الدلالة اللغوية للملفوظ مع المقام الذي يتنزّل فيه، حتى يكون هذا الملفوظ مفهومًا، وهذا يعني أن مبدأ الملاءمة مبدأ يسمح يسمح باستنباط مقاصد القول غير الظاهرة، بالاعتماد على ماهو مقول في مقام مخصوص، ويتيح على سبيل التأويل الاستدلال بالظاهر على المختفي في اللغة والسياق، وبهذه الطريقة يصبح للخطاب الذي يفتقر إلى المنطق ظاهراً منطق يكون له في الباطن، وقد استدل عليه بالظاهر"[4].

1-2 الدراسات السابقة:

يعدّ أحد نصر[5] من بين أهم الروائيين الليبيين، الذين شكّل عملهم الروائي المبكر "وميض في جدار الليل" نقلة نوعية في المتن الروائي الليبي، فقد ذهب مؤرخو الرواية الليبية إلى "أن الروائيين الليبيين ميالون إلى الرواية التقليدية، التي تعلي من شأن الراوي النائب عن المؤلف،

1- أوزالد ديكرو وجان ماري سشايفر، المعجم الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، ت: منذر العياشي، ط1، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2007م، ص285.

2- ينظر شكري المبخوت، نظرية الأعمال اللغوية، مسكيلياني للنشر، تونس، 2008م، ص119-120.

3- فاطمة الزهراء فتاك، التواصل من منظور نظرية المناسبة لدلن سبيبر ودردر ويلسن، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، جامعة حسيبة بن بوعلي – الشلف، الجزائر، مج12، ع11، القسم(ج)، الآداب والفلسفة، 2019م، ص34.

4- محمد القاضي وآخرون، معجم السرديات، ط1، دار الملتقى، المغرب، 2010م، ص82.

5- ينظر ترجمته: عبدالله مليطان، معجم الأدباء والكتاب الليبيين المعاصرين، ط1، دار مداد، طرابلس – ليبيا، 2001م، ج1، ص438.

وعلينا أن نستثني منهم الروائي أحمد نصر، الذي شارك قلة من الروائيين العرب في وجهة نظر مغايرة"[6].

وخضعت روايته: "وميض في جدار الليل" إلى مقاربات نقدية تتوسل مناهج نقدية كثيرة، فمن ذلك المقاربة الاجتماعية والتي تجلت في ثلاث متون نقدية، جاء أولها مبكراً وقت صدور الرواية، حيث كتب سليمان كشلاف مقالة متسلسلة بعنوان: التاريخ عندما يروى[7]، وكان يقارب الرواية بمنهج الواقعية الجديدة، وتوصل إلى مجموعة من الاستنتاجات تعود إلى السياقات الثقافية والاجتماعية المحيطة بالكاتب وزمن الحدث، ثم جاءت الدراسة الثانية ضمن أول دراسة أكاديمية ليبية تتناول النتاج الروائي الليبي، من خلال بحث مميز للدكتور علي برهانة، الذي قرأ الرواية من منظور المنهج البنيوي التكويني، وبنى كل استنتاجاته من خلال رؤية العالم للمؤلف والطبقة التي ينتمي إليها[8]، وقريب منه مع تعديل بسيط في النتائج هو ما كان مدار الدراسة الثالثة للدكتور أحمد شيلابي[9]، وتمت دراسة الرواية نفسها بمنهج بنيوي[10]، ولم يتم تناول العنوان في الدراسة، فالتركيز كان على الراوي فقط، والرواية نفسها

6- سمر روحي الفيصل، نهوض الرواية العربية الليبية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ط1، دمشق – سوريا، 1990م، ص141.

7- ينظر: سليمان كشلاف، التاريخ عندما يروى، كتابات ليبية، المنشأة العامة للنشر، ط1، طرابلس – ليبيا، 1977م، ص107.

8- ينظر: علي برهانة، الرواية الليبية مقاربة اجتماعية، جامعة التحدي، ط1، جامعة سرت، 2009م، ص129.

9- ينظر: أحمد الشيلابي، القضايا الاجتماعية في الرواية الليبية (1961-1995م)، دار الشعب، ط1، مصراتة – ليبيا، 2003م، ص67.

10- ينظر: نجلاء شنيبو، الراوي في السرد العربي المعاصر بين الرؤية والصوت، الرواية الليبية أنموذجا، رسالة ماجستير مرقونة، قسم اللغة العربية / كلية الآداب، جامعة مصراتة، ليبيا، 2013م، ص131.

أيضاً تمت مقاربتها بمنهج النقد الثقافي[11] وكان اهتمام الدراسة منصب على النسق الثقافي وقاربت العنوان بوصفه بنية فوقية، ودرست امتداده في البنية التحتية، ولم تقارب العنوان تداوليًا.

كما تم تناول رواية السهل بمناهج لسانية تناولت الخصائص الشكلية والدلالية[12]، وبالمنهج نفسه تمت مقاربة رواية وميض في جدار الليل[13]، وكل هذه المقاربات على أهميتها استندت في التأويل على السياق الخارجي، أو أهملت المعنى، واعتنت بالجانب اللغوي فقط.

ويتضح أن الروايتين لم تدرسا في ضوء المنهج التداولي، ويمكن القول إن المنهج التداولي لم تقارب به الرواية الليبية بتوسع، وعلى العكس من ذلك عربيا، فثمة العديد من الدراسات التي قاربت المتن الروائي لنصوص عربية، مستعينة بالمنجز التداولي عموما والإدراكي خصوصاً؛ بيد أنه في المقابل تظل الدراسات المختصة بمقاربة العنوان تداوليًا والبحث في مناسبته قليلة، ولعل أبرز دراسة في هذا المجال تجمع المجالين معا المحلي والعربي، فيما أزعم، كانت للباحثة: حنان ميلاد أبوسكساكة والموسومة بـــ(الخطاب المصاحب للرواية الليبية من 2000م إلى 2010م)[14]، التي قاربت العنوان تداوليًا، منطلقة من مقولات نظرية المناسبة ضمن مقاربتها مصاحبات الرواية الليبية، ويأتي هذا البحث ثمرة إشرافي على تلك الدراسة، وامتداداً لها، وتعضيداً لما توصلت إليه من نتائج، وتأكيدا لجدوى توظيف مقولات نظرية المناسبة، وذلك بمقاربة نصين روائيين لأحمد نصر لم تشملهما الدراسة، كون

11- ينظر: محمود محمد ملودة، تمثيلات المثقف في السرد العربي الحديث، الرواية الليبية أنموذجًا، ط1، عالم الكتاب الحديث، إربد – الأردن، 2010م، ص156.

12- ينظر: حواء الشويرف، الخصائص الشكلية والدلالية في رواية السهل لأحمد نصر، رسالة ماجستير مرقونة، قسم اللغة العربية / كلية الآداب، جامعة مصراتة، ليبيا، 2009م.

13- ينظر: رحاب محيسن، معاني النحو في رواية وميض في جدار الليل لأحمد نصر، رسالة ماجستير مرقونة، قسم اللغة العربية / كلية الآداب، جامعة مصراتة، ليبيا، 2006م.

14- ينظر: حنان ميلاد أبوسكساكه، الخطاب المصاحب للرواية الليبية من 2000 إلى 2010م، رسالة ماجستير مرقونة، قسم اللغة العربية / كلية الآداب، جامعة مصراتة، ليبيا، 2016م.

صدورهما كان قبل مطلع الألفية الثالثة. ومن جهة أخرى جاء البحث ليدفع بعجلة البحث نحو دراسة المصاحبات تداوليًّا، التي رغم توجه الدراسات اليوم نحو الاستفادة من المنجز التداولي في مقاربة المتن الروائي، ظلت مصاحباتها بما فيها العنوان بمنأى عن الدرس.

1-3 منهج البحث:

إن البحث محاولة لسد الفراغ في دراسة الروايتين، حيث تتم المقاربة بالمنهج التداولي، انطلاقًا من أن التداولية تتضمن حل المسائل من وجهة نظر المتكلم والمخاطب معًا، فمن وجهة نظر المتكلم فإن المشكل هو تصور وتخطيط، ومن وجهة نظر المخاطب فإن المشكلة هي مسألة تأويل"[15] ومن هنا سينحصر البحث تحديداً في البحث عن المناسبة ما بين المقصد التخاطبي للعنوان والمقصد التخاطبي النصي، فكل الدراسات التي تناولت العناوين في الروايتين ركزت على مناسبة العنوان للنص الروائي، وما توصلت إليه تلك الدراسات سنثبته بوصفه معطى أول معروف سلفًا، ولن نقدم جديدا في ذلك، وسيتم تجاوزه إلى عملية رصد العلاقة بين المقصد من العنوان والمقصد التخاطبي النصي، وننطلق في ذلك من مسلمة أن العنوان لا يمثل النص فقط، بل هو تمثيل للمقصد الذي يسعى المؤلف إلى توصيله إلى القارئ وتمرير خطابه من خلاله، وهذا لا يتأتى تداوليًّا إلا بالانتقال من المستوى التشفيري إلى المستوى الاستدلالي، وذلك بتأويل العنوان في السياق التأويلي ذاته الذي أُوّل فيه النص، وحصيلة عملية التأويل النهائية للعنوان، وهي ما يريد المؤلف إبلاغه سنصطلح عليها المقصد التخاطبي للعنوان، والحصيلة النهائية للنص وهي ما يريد المؤلف إبلاغه سنصطلح عليها المقصد النصي.

1-4- سؤال البحث:

ينهض البحث في العنوان هنا على سؤال جوهري: ما المقصد التخاطبي للعنوان؟ وكيف يحقق مناسبته للمقصد التخاطبي النصي؟، فقد بات واضحاً أن الدراسات النقدية الحديثة "تسير بمفهوم جديد للعنوان، وذلك من خلال تصورات مغايرة عما هو مألوف، منتشلة بذلك القارئ من طبيعة تصوره التقليدي للعنوان وتقنعه بالتالي، بأن يتأمل العنوان طويلاً قبل أن يباشر

15- جيوفري ليتش، مبادئ التداولية، ت: عبدالقادر قنيني، أفريقيا الشرق، ط1، المغرب، 2013م، ص51.

قراءة العمل الأدبي، فما عاد بوسع القارئ اعتبار العنوان محطة عبور عجلى ومتسرعة، من أجل الوصول إلى عالم النص الروائي"[16].

والوصول إلى إدراك المقصد المبلغ عنه بخطاب العنوان في الروايتين ومناسبته للمقصد النصي يتم عن طريق سياق تأويلي، يتكون من المقام الروائي والمعارف الموسوعية والأقوال الروائية السابقة واللاحقة، ولذلك اتخذ البحث ثلاث خطوات، الأولى إدراك مرجع خطاب العنوان، والثانية إدراك مقصد العنوان، والثالثة إدراك مناسبة المقصدين: العنوان والنصي.

2- خطاب العنوان الرئيس:

من البديهي القول إن العنوان يحيل على مراجع قائمة في الخطاب الروائي، سواء كانت حدثًا أو شخصية أو قولاً أو مكانًا أو زمانًا أو الموضوع أو الفكرة التي يدور حولها النص، والعنوان وإن بدا في الظاهر أنّه إخبار عن تلك الشخصية الروائية أو القول أو الحدث أو مكان الأحداث أو زمانها أو الموضوع الذي تدور حولها، ولكنّه ليس هو ما يريد المؤلّف تبليغه، بل إنّ ذاك ما هو إلا تأويل أولي جزئي، ينبغي الانتقال منه إلى المقصد الذي أراد المؤلف تمريره عبر تلك المراجع. وذلك بمزيد من الاستدلال، لأنّ "الفجوة بين التمثيلات الدلالية والصِّيَغ القَضَوية، لا يمكن أن تُسَدّ بإزالة اللّبس والاشتراك وتعيين الإحالة فَحسب. ففي ففي كثير من الأحيان، يجب أيضاً إغناء أو إثراء التمثيلات الدلالية"[17].

2-1- خطاب العنوان الممثل للموضوع:

وبالنظر إلى الأعمال الروائية لأحمد نصر هناك فقط عنوان واحد ممثل للموضوع هو خطاب العنوان المصاحب لرواية (وميض في جدار الليل)[18]، فما المقصد التخاطبي منه؟ وكيف يحقق مناسبته للمقصد النصي؟

16- عبدالملك أشهبون، العنوان في الرواية العربية، دار محاكاة، ط1، دمشق - سوريا، 2011م، ص18.

17- دان سبيربر وديدري ولسون، نظرية الصِّلة أو المناسبَة في التواصل والإدراك، ت: هشام إبراهيم عبدالله الخليفة، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، بيروت - لبنان، 2016م، ص323.

18 أحمد نصر، وميض في جدار الليل، ط3، دار المنار للطباعة والنشر، ليبيا، 2007م.

إن خطاب العنوان (وميض في جدار الليل) يشير في صورته المنطقية إلى وجود وميض معين في جدار معين لليل، وهذه الصورة المنطقية التي تحيل على وجود جدار لليل غير مناسبة؛ لأنه ليس ثمة في الواقع جدار لليل، وبهذا فالمعنى الحرفي لخطاب العنوان (وميض في جدار الليل) غير مقصود، لتناقضه للاعتقاد الواقعي، وبهذا فإن العلاقة بين (وميض) و(جدار الليل) وما يحيلان عليه لا يمكن أن تكون تطابقية، ومعنى هذا أن خطاب العنوان مستعمل بشكل استعاري أو مجازي، فما مرجع (وميض) و(جدار) و(الليل)؟ وما المقصد التخاطبي منه؟ وكيف يحقق مناسبته للمقصد النصي الذي يبلغ عن الاضطهاد الاجتماعي والسياسي للتحرر منه، والخروج من التبعية الاقتصادية للغرب الاستعماري؟

إن إدراك المرجع يتطلب سياقًا تأويليًّا، وبالرجوع إلى المعارف الموسوعية للجدار نجد أنه حاجز يعزل ويفصل بين شيئين، والليل هو ما يعقب النهار من ظلام يحجب الرؤية، والوميض هو ضوء أو بريق ضئيل خفيف، يسطع في بعض الأجسام لتعرضها لعوامل فيزيائية، ومن المقام الروائي، ثمة واقع اجتماعي حجب الشخصية (نجية) وعزلها عن مخالطة الرجال، فمنعها من إكمال دراستها: "ساعتها قال الأب كلمته الساحقة: مناخ الجامعة لا لا يشجع دخول الفتاة، ولو كان هناك كلية بنات خاصة ما كان لدي مانع"[19]، فظلت حبيسة البيت: "لا تحدثيني عن الهواء الطلق.. فأنا بائسة.. بائسة.. لا أغادر عتبة البيت إلا مع أمي في زيارة أو في صحبة أبي إلى المستشفى"[20]، هذا ودفعها إلى غلق نافذة غرفتها عندما جلس في شرفة تقابلها رجل، وجعلها لا تنظر إليه إلا من خلف الجدار من شق الستارة: "تلمح شبحا يتحرك تحت نور الكهرباء داخل الحجرة.. تهتز، وتتراجع عن حافة النافذة.. تمتد يداها عن اليمين وعن الشمال، تأخذان بسجفي الستارة.. يخرج إلى الشرفة، يتجسد رجلاً، تسرع يداي فتجذب سجفي الستارة فيلتقي طرفاهما.. أراقبه من فرجة بين الستارتين... الصبح يفصح عن وجه شاب يجلس في الشرفة.."[21]، وبزيادة توسيع السياق، نجد أن هذا الواقع الاجتماعي لاحقها حتى وهي تكلم كاتبها، فحال دون أن تعرفه بنفسها: "إذا كان لا بد فعليك أن

19- نفسه، ص10.

20- نفسه، ص32.

21- نفسه، ص17.

أن تختار لي اسماً من عندك.. بم تحب أن تدعوني؟"[22]، ودفعها إلى قفل الهاتف فجأة في وجهه، وهي تعطيه اسم صديقتها: "لكن الباب ورائي فتح فجأة، فانتفضت كالملسوعة، وتلعثم لساني:

– أ أ.. نعم.. نعم.. مع السلامة يافوزية..

وألقيت بالسماعة على الهاتف أقفل الخط في وجهه"[23]، فهذا الواقع الاجتماعي الذي عزل نجية وحجبها، ومنعها من مشاركة مجتمع الرجال، وحال دون إتمامها دراستها، وإفصاحها عن نفسها ونظرها مباشرة عبر نافذتها، هو المرجع المناسب جدار الليل لوجود صفة مشتركة بينهما وهي الحجب والعزل والفصل.

وبالتوسيع في السياق نجد أن الواقع السياسي حال دون مشاركة العناصر الوطنية في الانتخابات، فسُجن المرشحون: وهو ما يستدل عليه من القول الروائي: "اعتقلوا مرشحنا.. لن يفرضوا علينا أحداً"[24]، والقول الروائي: "الزميل "خليل عثمان".. يخبرني ببعض المرشحين الذين اعتقلوا حتى الآن"، فأقفل الصحيفة: "أخبرتنا فوزية أنها أقفلت بأمر الحكومة"[25]، وحال دون تحقيق المتظاهرين مطالبهم بالسجن: "لقد مر بها يوم مشهود، خرجت فيه جماهير الشعب تحمل فؤوسها وعصيها؛ لتحطم جبل الليل الذي يسد طريق خطوها.. وامتدت فيه القبضة المتكورة، لتطيح بالدمى قبل أن تعود إلى خشبة المسرح.. لتحدث التغيير.. وليكون من الشعب الممثل والملقن والمخرج والمؤلف والمتفرج..

.. واهتز الجبل.. فانفجر المسرح..

وامتلأت السجون والمستشفيات بأبناء المدينة، وخلت المدينة لترسم في دروبها علامات التوتر، ويعمر شوارعها الشرطي المسلح يحرس الممثلين وجبل الليل.."[26]، وبهذا فالواقع

22– نفسه، 45، وكان رد فعله عبر المونولوج الداخلي: "تمانعين في ذكر اسمك.. مازلت ترزحين تحت الجدران..."، ص72.

23– أحمد نصر، وميض في جدار الليل، ص45.

24– نفسه، ص81.

25– نفسه، ص81.

26– نفسه، ص86.

السياسي حال دون وصول العناصر الوطنية لكرسي البرلمان، وهو المرجع المناسب لجدار الليل، لوجود صفة مشتركة بينهما، وهي الفصل والحجب، وبالتالي فالواقع الاجتماعي والسياسي هما المرجع المناسب، فما مرجع (وميض)؟ وما المقصد التخاطبي منه؟

وبتوسيع السياق أكثر نجد أن شخصية نجية قامت ببعض المحاولات، لتتحرر من الواقع الاجتماعي، بدأت عبر نافذة غرفتها: "من هذه النافذة أطل أتأمل الصمت في ابتسامة الصباح، استشعر الراحة في حرية الانطلاق"[27]، "سأنهض مع الفجر، وسأفتح نافذتي كالعادة، وليجلس كما يحلو له في شرفته.. وليفعل ما بدا له؛ فأنا حرة في نافذتي.. حرة.. حرة"[28]، ومن ثم تمكنت بمساعدة صديقتها من الخروج من البيت: "من خلال غلالة سوداء تنسدل على وجهي، من خلال ظلال لتقاليد مهترئة، تخسف فوق جبيني القمر، أشاهد الدنيا والحياة، وأمشي مع فوزية كتفاً لكتف للمرة الثالثة في طريقنا إلى الجمعية النسائية"[29]، وكلمت كاتبها، باسم مستعار: "إذا كان لابد فعليك أن تختار لي اسما من عندك.. بم تحب أن تدعوني؟"[30]، وانتهى بها الأمر إلى مكالمة كاتبها كاشفة عن هويتها: "طيب مادمت عندك لست مجرد قارئة فلابد أن أن أعرفك بنفسي، غير أني قبل أن أفعل لابد أن أسمعك حكايتي.. أعندك وقت لتسمع حكايتي؟"[31]، وتحديد موعد للالتقاء به والنظر إليه:

_ "المهم الآن أريد أن أراك

- ميعادنا الفجر..
- أيلامس عينيك النوم يا إلهام؟.. أريد أن أراك الآن..
- هيا إلى الشرفة

27- نفسه، ص15.

28- نفسه، ص25.

29- نفسه، ص36.

30- نفسه، ص45.

31- أحمد نصر، وميض في جدار الليل، ص121.

– هيا إلى النافذة"[32]، وإكمال دراستها: "لا بل أنت ستواصلين دراستك"[33]، وأيضاً تغير وعيها بالواقع الاقتصادي، فأدركت خطر التبعية الاقتصادية: "مازال طرف من الستارة بيدي، ومازال ملمسه الناعم مبعثا لتساؤلات بخاطري.. ترى صناعة أي بلد هذه الستارة؟.. ولماذا؟ وهذا السرير.. وصوان الملابس.. وطلاء الجدران.. والبلاط.. هل تعرفين صناعة أي البلدان هذه الأشياء؟.. شيء واحد تعريفينه أنت.. هو أنك الشيء الوحيد في هذه الغرفة المصنوع من طينة هذه البلد.. إلى الهاوية تسير بلادنا لو كان هناك من يشعر ويعقل"[34].

وبالرجوع إلى السياق، نجد أن شريف عمران قد قام بمحاولات للتنبيه على الاضطهاد الاجتماعي الممارس ضد المرأة، من خلال كتابته في صحيفة الرأي الحر، التي لم تغير الواقع الواقع الاجتماعي، بقدر ما تنبه على ضرورة تغييره، وتدعو إليها، وهو ما يستدل عليه من القول: "النافذة" هو العنوان الذي حل محل "حكايا الصمت" في الصفحة الأخيرة، ومن "النافذة" قفزت إلى ما بين الجدار أتحسس وأحرك نصف مجتمع يحمل مع الرجل ثقل الليل مضافا إليه ثقل الجدران"[35]، ومن القول الروائي: "من النافذة" في الصفحة الأخيرة كتبت عن القلوب المسجونة، والأيدي المشلولة.. عن النصف المفقود في مجتمع ينفض الغبار ويبدأ من الصفر، عن يد تصفق وحدها، لم أكد أغرق في بحري الأخضر لحظة حتى أعبر النافذة وأطفو على واقعية مجتمع أعيشه، وأعيش له، لذلك كانت كتاباتي في هذا الباب سابحة الأسلوب واقعية المضمون"[36]، ومن خلال ندوة قدمها في الجمعية النسائية: "لم أعد أخاطبهن من آخر صفحة؛ صفحة؛ فقد سقط الجدار، ووجدتني بينهن دفعة واحدة، أتحسس فيهن آلام جدتي وبصمات الجدران"[37]، كما قام بالتنبيه على التبعية الاقتصادية ومخاطرها: "الذي يجد بإمكانه أن يستورد سيارة لا يفكر في صناعة أعواد لتنقية أسنانه، ومن يصنع من ترابه إبرة، يسير نحو

32– نفسه، ص126–127.

33– نفسه، ص116.

34– نفسه، والصفحة ذاتها.

35– نفسه، ص68.

36– نفسه، ص69.

37– نفسه، ص71.

القمر خطوة، ومن يستوردها يهوي في باطن الأرض أمتاراً"[38]، وقام ببعض التحركات التمردية على النظام السياسي، التي لم تطح بالنظام وتغيره، بقدر ما نبهت على ضرورة الإطاحة به، وأيقظت روح التغيير: "والتفاؤل في هذه المرة يملأ نفسي أكثر من أية مرة مضت، لأني أحس بتكاثف الجهود الوطنية، وبروز العناصر الواعية في ميدان المنافسة... سيحمل كل واحد منا قادومه، وسينحت في صدر الجبل برفق حتى لا يتحطم.. منهم من حاول حاول من قبل ولم يستطع زحزحة الجبل، ومنهم صديقي وزميل الدراسة "مفتاح الدرناوي" يدخل معمعة الانتخابات للمرة الأولى"[39]، فخرجوا في مظاهرة انتهت بهم إلى السجن: "لقد مر بها يوم مشهود، خرجت فيه جماهير الشعب، تحمل فؤوسها وعصيها، لتحطم جبل الليل، الذي يسد طريق خطوها.. وامتدت فيه القبضة المتكررة، لتطيح بالدمى قبل أن تعود إلى خشبة المسرح.. لتحدث التغيير.. وليكون من الشعب الممثل والملقن والمخرج والمؤلف والمتفرج..

.. واهتز الجبل.. وانفجر المسرح.. وامتلأت السجون والمستشفيات بأبناء المدينة"[40].

وبزيادة توسيع السياق نجد أن شريف أيضاً شارك في المظاهرات: "متهم بانتمائه إلى تنظيم حزبي، للإطاحة بالحكم القائم. وكما قلت لك، تهمة ملفقة، كل الذي حدث أنه خرج في المظاهرات، مندفعاً مع سيل الجماهير، احتجاجاً على إبعاد العناصر الوطنية عن البرلمان، وعثر على بعض الكتب في الاشتراكية داخل مكتبته"[41]، وبتوسيع السياق نجد أن شريف عمران وأصدقاءه لديهم استعدادات خفية للإطاحة بالنظام، وهو ما يستدل عليه من قول شريف شريف عمران: "مازالت المسؤولية الأولى طلائع هذا الشعب بمختلف فئاته، غير أن النضال يجب أن يأخذ بعدين، بعداً يركز على قضية التغيير في القاعدة الجماهيرية.. والبعد الثاني

38- نفسه، ص44.

39- أحمد نصر، وميض في جدار الليل، ص56-57.

40- نفسه، ص86.

41- نفسه، ص106.

الاستعداد للعنف في لحظة تقتلع النظام من جذوره.."[42]، ومن قول الملازم عبدالله: "أما عن البعد الثاني فالطلائع بخير"[43]، وبما أن محاولة نجية للتحرر من الواقع الاجتماعي والتبعية الاقتصادية لم تصل إلى تغيير الواقع، ومحاولة شريف عمران لتغيير الواقع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي لم تصل إلى تغييره، فهي محاولات ضئيلة ضعيفة، فهي المرجع المناسب للوميض، لتشابههما معه في الضآلة والضعف وعدم تغيير الواقع، وبما أن العلاقة بين (الوميض) وما يحيل عليه "علاقة تَشابُه"[44]، فقد تناسب (الوميض) مع المرجع الذي يحيل يحيل عليه عن طريق الاستعارة؛ تحديدا الاستعارة التمثيلية، فحالة محاولات نجية للتحرر من الاضطهاد الاجتماعي، التي لم تغير الواقع بقدر ما كانت محاولة لتغييره، وحالت محاولة شريف عمران وأصدقائه للإطاحة بالنظام السياسي، التي لم تطح بالنظام بقدر ما أيقظت النفوس، وتنبيهه عن التبعية الاقتصادية، التي لم توقف الاستيراد بقدر ما نبهت على ضرورة إيقافه والاعتماد على الإنتاج الذاتي، تشبه حالة الوميض الذي يبرق في الليل الحالك السواد، والوميض الذي يبرق في ظلمة الليل، ولكن دون أن يحولها نوراً أو يقلبها نهاراً.

بهذا فالقصد من خطاب العنوان هو الإخبار عن محاولة تحرر نجية من الاضطهاد الاجتماعي، ووعيها بمخاطر التبعية الاقتصادية، ومحاولة تحرر شريف عمران من الاضطهاد السياسي ووعيه بالاضطهاد الاجتماعي والتبعية الاقتصادية.

وبما أن العنوان يبلغ عن اضطهاد اجتماعي، ومحاولة تحرر منه مخصوص بنجية، واضطهاد سياسي ومحاولة تحرر منه مخصوص بشريف عمران وبعض الليبيين، ووعي بضرورة اضطهاد اجتماعي، ومخاطر التبعية الاقتصادية مخصوص بشريف عمران، والنص يبلغ عن الاضطهاد السياسي لعموم الليبيين، والاضطهاد الاجتماعي لعموم النساء، وعموم التبعية الاقتصادية فخطاب العنوان يتناسب معه عن طريق علاقة خصوص. وهي إحدى علاقات المجاز المرسل العام، الذي أشار إليه سبربر وولسن في قولهما: "تكون الاستعارة

42- نفسه، ص123، "عدت إلى جلستنا وتناولنا موضوع صحيفتنا التي نأمل أن تعود إلى الجمهور حاملة مسؤولية التغيير"، ص123.

43- نفسه، ص124.

44- دان سبيربر، ديدري ولسون، نظرية الصلة أو المناسبة، ص395.

والعديد من المجازات المُتنوعة المُرتبطة بها (مثل مُبالغة الإفراط hyperboie والمجاز المُرْسَل العام metonymy والمَجاز المُرْسَل لعلاقة الجزئية أو الكُلّية synechdoche) مُجرّد مُجرّد استغلالات خلّاقة وإبداعية لأحد الأبعاد العامة للاستعمال اللُّغوي"[45].

2-2- خطاب العنوان الممثل لمكان روائي:

بالنظر إلى خطاب العنوان المصاحب لروايات أحمد نصر (السهل، وميض في جدار الليل)، نجد أن خطاب العنوان المصاحب لرواية (السهل) تمثيل لمكان روائي بشكل غير حرفي، فما القصد التخاطبيّ منه؟ وكيف يحقق مناسبته للمقصد التخاطبيّ النصيّ؟.

إن خطاب العنوان (السهل) في صورته المنطقية يشير إلى وجود سهل معين، وبهذا التأويل اللّغوي لا يتناسب خطاب العنوان مع المقصد التخاطبيّ النصيّ، الذي يبلغ عن الدعوة إلى الوحدة العربية، ورفض الحدود، والتنبيه على دورها في تحقيق النصر، إن الصورة المنطقية التي تشير إلى وجود سهل معيّن ليست هي ما يقصد المؤلّف تبليغه بخطاب العنوان، فهي ليست إلاّ تأويلاً لغويًا جزئيًا، يحتاج لإثراء للحصول على الصّورة القضويّة[46] التي هي المقصد الذي يريد المؤلف تبليغه؛ لأنّ "الفجوة بين التمثيلات الدلالية والصِّيغ القَضَوية، لا يمكن يمكن أن تُسَدّ بإزالة اللّبس والاشتراك وتعيين الإحالة فَحسب. ففي كثير من الأحيان، يجب أيضاً إغناء أو إثراء التمثيلات الدلالية"[47]؛ لذا يجب تحديد مرجع السهل بالاستعانة بعمليّات استدلاليّة، عن طريق توسيع سياق التأويل نحو الخطاب الرّوائيّ، فمن القول الرّوائيّ الوارد على لسان بطل الرّواية حسين: "أليست هذه دورية من دوريات الحدود؟"[48]، ومن قول الشخصيّة سالمة: "نحن هنا.. قد تمر بنا دورية ربما في السنة مرة.. إن كانت ليبية نقول نحن مصريون، وإن كانت مصرية نقول نحن ليبيون.. وقد يتناقشون مع أبي في مسألة الحدود..

45- دان سبيربر، ديدري ولسون، نظرية الصّلة أو المناسبة، ص404.

46- هي التّحليل الدلاليّ للقول في سياق محدّد، أي حصيلة المعالجة الكاملة للقول؛ المعالجة اللسانية والتّداوليّة، ينظر جاك موشلر، آن ريبول، القاموس الموسوعيّ للتّداوليّة، ت: مجموعة أساتذة، المركز الوطني للترجمة، ط2، تونس، 2012م، ص125، 127.

47- دان سبيربر وديدري ولسون، نظرية الصِّلة أو المناسبَة، ص323.

48- أحمد نصر، السهل، ط2، جامعة مصراتة، ليبيا 2007م، ص13.

وربما يلزموننا أن نعود إلى الوراء بضعة كيلومترات"[49]، يُدرك أن السهل يقع على الحدود، ومن قول سالمة: "إن كانت ليبية نقول نحن مصريون، وإن كانت مصرية نقول نحن ليبيون"[50] يُستنتج أن الحدود التي يقع عليها السهل هي الحدود اللّيبية المصريّة، وبهذا فمرجع المكان (السّهل) الذي يحيل عليه خطاب العنوان هو السّهل الواقع على حدود ليبيا ومصر، وبما أنّه أحال عليه بلفظ وصفيّ، فهو يمثّل المكان بشكل غير حرفيّ صريح، وبالاكتفاء بهذا التأويل –تعيين مرجع المكان– يبدو أن المقصد التخاطبي من خطاب العنوان هو الإخبار عن مكان الأحداث، وهو بهذا لا يتناسب مع المقصد التخاطبي النّصّيّ، ولكن تعيين مرجع المكان مجرد تأويل جزئيّ، ويحتاج لإثراء، من أجل إدراك المقصد التخاطبيّ المبلّغ به، وذلك بمزيد من الاستدلال.

وزيادة في تمديد سياق التّأويل وذلك بالانفتاح على أقوال روائيّة أخرى نحو قول حسين: "في الإسكندرية أكلت وجبة السمك، وفي الضبعة أكلت الكسكسي، ومن المطروح اشتريت "الحرام" ومن السلوم اشتريت العمامة، وحدقتُ مليًّا في هيئة "أولاد علي" وكيف يرتدون ملابسهم"[51] ومن لهجة عمته وهي تدعو له: "معك الله ياضناي"[52]، ندرك أن حسيناً مصري، وقد ترك مصر هروبًا، واشتغل راعيًا لإحدى العائلات بالحدود، وتعرف على عائلة ليبيّة، ومن خلالها تعرف على صديق العائلة "خليل عثمان" وهو ليبيّ من سكان بنغازي، وهو ما يُستدل عليه من خلال المقام الرّوائي، الذي قدم فيه الرّاوي وصفًا لشخصية خليل عثمان "صديق قديم للعائلة، كانت عائلته من جيران السنوسي فضل الله أيام أن كان يسكن بنغازي"[53]، وبتوسيع السياق يُدرك أن تعرف خليل عثمان على حسين والتقائه به في السّهل كان نقطة بداية اتحدت فيها الثورتان المصريّة والليبيّة، وكان مقراً للتخطيط والتنسيق: "قال خليل عثمان: سيكون دائما لقاؤنا هنا في هذا النجع السياحي، وفي مثل هذا الوقت، ليلة

49– نفسه، ص13–14.

50– نفسه، ص13.

51– نفسه، ص17.

52– نفسه، ص18.

53– نفسه، ص92.

الخميس القادم تجدني أو أجدك، وليكن لقاؤنا مصادفة، وسوف أخبرك عن كل الترتيبات والتنسيق بين جماعتكم وجماعتنا"[54]، وقد تمّ الالتحام الفعليّ بين الثّورتين، بوصول فدائيين من مصر، وهو ما يُستنتج من قول خليل عثمان لمفتاح الدرناوي: "وصول اثنين من الفدائيين المصريين، وغداً سنلتقي معهما في درنة، وننسق معهما، وسنأخذ إن شاء الله قرارات حاسمة، سنوسع حركتنا ونندمج معهم ويندمجون معنا"[55]، وبتوسيع السّياق نجد أنّ الالتحام الفعليّ ترتب عنه الهجوم على معسكر السّويس، وهو ما يُدرك من الحدث المسرود والأقوال الرّوائية: "ثم فتح المذياع وانطرح على قفاه يسمع الإخبار.. عملية فدائية داخل معسكرات الإنجليز بالسويس... أسفر هجوم الفدائيين على معسكرات السويس عن مقتل سبعة من جنود الإنجليز"[56]، وهذا الهجوم انتقل من مصر إلى ليبيا، وهو ما يُدرك من المقام الرّوائي، والحوار بين الشيخ ضو وتلاميذه: "وفي المساء عندما تحرك نسيم شرقي يلطف الجو كان الشيخ ضو يناقل خطوة في اتجاه مشروع المدرسة.

– ماذا؟!..

– الفدائيون خبطو الإنجليز.. ألقوا ما بأيديهم، بعضهم دنا منه، وبعضهم ظل مكانه واقفاً:

– في السويس.. مرة ثانية؟

– لا.. هذه المرة في طبرق؟"[57].

وبزيادة توسع السّياق نجد أنّ الثّوار هجموا على رمز الاستعمار في المكان الذي انبثقت منه الثّورة، فكان السّهل نقطة انطلاق الثّورة وانتهاءها: "ولاذ الشباب ببعضهم،... ترامت نظراتهم في وجهات عدة في السهل، وحطت على النجع السياحي. وعند الفجر استيقظ أهالي السهل على ألسنة النيران، وهي تتصاعد من النجع السياحي، وتلتهم الأخضر واليابس"[58]، إذا إذا فالمقصد التخاطبي ليس الإخبار بأن السّهل، مكان الأحداث بل الإخبار عما وقع فيه، أيّ

54– أحمد نصر، السهل، ص127.

55– نفسه، ص130.

56– نفسه، ص139–140.

57– نفسه، ص176.

58– نفسه، ص176.

الإخبار عن دور الالتحام والوحدة، التي تمّت على الحدود في السّهل بين مصر وليبيا في تحقيق النصر، وبما أنّ السّهل هو المكان الذي شكل نقطة الالتحام بين مصر وليبيا، واتّحدت فيه الثّورتان الليبية والمصرية وحققتا النّصر، فمناسبة خطاب العنوان للمقصد التّخاطبي المبلغ به تتحقق بفعل المجاز بعلاقة محلية، وبما أن خطاب العنوان يبلّغ عن وحدة مخصوصة بليبيا ومصر في النّصر والمقصد التّخاطبي النّصّي إبلاغ عن دور عموم الوحدة العربيّة، وإزالة الحدود في النصر، فمناسبة المقصد التّخاطبيّ من خطاب العنوان للمقصد التّخاطبيّ النّصّي تتحقق عن طريق علاقة خصوص.

3- خطاب العناوين الداخلية:

3-1- الممثل لشخصية روائية:

إن العناوين الداخلية شأنها شأن العنوان الرئيس، تحيل هي الأخرى على مراجع قائمة في الخطاب الروائي، وبما أن الشّخصيّة أهمّ مقومات الخطاب الرّوائيّ، اختارها كثير من المؤلّفين عنوانا لتكون اسماً يعين نصّهم ويبلّغون به مقصدهم التّخاطبيّ، فجاءت عناوينهم تمثيلاً لمراجع شخصيّة موجودة في الكون الرّوائيّ، والتّمثيل ليس نمطًا واحدًا بل هو على درجات "يبدأ من الاستعمال الحرفي... وصولاً إلى الاستعمال غير الحرفي في أعلى درجاته"[59]، وإدراك كلّ درجة من درجات الاستعمال تلك، مرتبط بإدراك درجة المشابهة، ودرجة المشابهة تتحدد بعدد الاستلزامات السّياقيّة المشتركة، التي تنتج عن القول وما يمثّله عند تأويلهما في السّياق نفسه[60]، فعندما يشترك القول مع ما يمثّله في جميع استلزاماته أو صفاته تكون المشابهة تامّة والتّمثيل حرفيًا، وعندما يشترك فقط في بعض صفاته أو استلزاماته مع ما يمثّله، فالمشابهة جزئيّة، والتّمثيل غير حرفيّ، كما في حالة الاستعارة[61]، والتّمثيل غير الحرفيّ "يبدأ عندما يتوافر القول على استلزام واحد على الأقل في السياق لا

59- جاك موشلار، آن روبول، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ت: يوسف دعفوس، محمد الشيباني، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت – لبنان، 2003م، ص189.

60- ينظر نفسه، ص184.

61- ينظر جاك موشلار، آن روبول، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص183-188، وينظر دان سبيربر، ديدري ولسون، نظرية الصلة أو المناسبة، ص397.

تتوافر عليه الفكرة التي يمثلها. أما القول فيمثّل الفكرة (على نحو أقل حرفيّة) بمجرد أن يكون له على الأقل استلزام واحد مشترك معها. وبين هذين الحدين تلتقي جميع درجات الاستعمال غير الحرفي. ولهذا لا توجد، حسب سبيربر وولسن، حدود واضحة وإنما مسترسل يبدأ من الاستعمال الحرفي (اشتراك الفكرة والقولة في جميع الاستلزامات) وصولًا إلى الاستعمال غير الحرفي في أعلى درجاته (الاشتراك في استلزام وحيد)"[62]. فكيف مثلت العناوين الداخلية في روايتي أحمد نصر المراجع الشّخصيّة؟

وبالنظر إلى خطاب العناوين الداخلية، نجد أن خطاب العناوين الداخلية الممثل لشخصية روائية في أعمال المؤلف أحمد نصر الروائية واحد منها مثّل: الشخصية بشكل حرفي، وهو العنوان الداخلي (ريم) المصاحب لرواية (السهل)، وثلاثة عناوين مثلتها بشكل صريح غير حرفي، وهي العنوان الداخلي (الراعي) المصاحب لرواية السهل، وخطاب العنوانين الداخليين (هي) و(هو) المصاحبين لرواية (وميض في جدار الليل)، فما المقصد التخاطبي منها؟ وكيف تحقق مناسبتها لخطاب العنوان الرئيس وللمقصد التخاطبي النصي؟

3-1-1 الممثل حرفيا للشخصية:

بتتبع خطاب العناوين الداخلية الممثلة لشخصية روائية في أعمال المؤلف أحمد نصر الروائية، وجدنا أن عنوانًا داخليًا واحدًا تمثيل حرفي لشخصية روائية، وهو العنوان الداخلي (ريم) المصاحب لرواية (السهل)، فما القصد التخاطبي منه؟ وكيف يحقق مناسبته للعنوان الرئيس (السهل)؟ وكيف يحقق مناسبته للمقصد التخطابي النصي الذي يبلغ عن الدعوة إلى الوحدة العربية ودورها في النصر؟

إن الصورة اللغوية لخطاب العنوان الداخلي تشير إلى وجود شخصية أنثوية تدعى ريم، ومن المقام الروائي والأقوال السابقة في النص الروائي ثمة شخصية واحدة أنثوية تدعى ريم: "تريد الحقيقة يا شيخ ضو إن ابنتي "ريم" هي التي أتت بنا..."[63]، وبهذا فهذه الشخصية الروائية هي المرجع المناسب للعنوان الداخلي، وبما أن خطاب العنوان يحيل على الشخصية باسمها، فهو تمثيل حرفي لها، وبالاكتفاء بتعيين المرجع يبدو للوهلة الأولى أن المقصد

62- جاك موشلار، آن روبول، التداولية اليوم، ص189-190.

63- أحمد نصر، السهل، ص45.

التخاطبي من خطاب العنوان الداخلي هو الإخبار عن وجود شخصية روائية تدعى ريم، تدور أحداث هذا القسم حولها، وبهذا يبدو غير مناسب لعنوان الخطاب الرئيس وللمقصد التخاطبي النصي، ولكن تعيين المرجع ما هو إلا تأويل جزئي يحتاج للإثراء، للحصول على الصورة القضوية التي قصد المؤلف تبليغها. ولكن الصّورة المنطقيّة تمثيل دلالي مشفر لغويًا و"التمثيلات الدلالية المشفرة لغويًا، هي تراكيب ذهنية مجردة، يجب إغناؤها أو إثراؤها استدلاليًا"[64]، عن طريق سياق تأويليّ متكوّن من الأقوال الرّوائيّة والمقام الرّوائيّ.

وبزيادة توسيع السياق حول أقوال وأحداث روائية أخرى، نجد أن ريمّا هي سبب مجيء عائلتها إلى السهل: "تريد الحقيقة يا شيخ ضو إن ابنتي ريم هي التي أتت بنا..."[65] وبتوسيع السياق نجد أن ذلك المجيء سبب في مجيء خليل عثمان: "وخليل عثمان يعمل مراسلاً لصحيفة وطنية... وقد أخبره إبراهيم وعمر عن برنامج عائلتهما، لقضاء فترة استجمام ونقاهة في ربوع البادية بمنطقة سهل الحدود، فرأى ذلك التفاتة وطنية تستحق التنويه... فاتصل بصديقيه، واتفق معهما على أن يصحبهما في هذه الرحلة العائلية"[66] ومن ثم تسبب في تعرف خليل على الراعي حسين: "تأمل خليل عثمان القطيع والصحراء وأجواء الربيع.. ثم وقف مع الراعي يتحدث إليه... يطول الحديث بين الراعي وحسين والصحفي خليل عثمان"[67]، وتعرفه على جماعة حسين بمصر، واتحاد الجماعتين: "قال خليل عثمان: سيكون دائما لقاؤنا هنا في هذا النجع السياحي، وفي مثل هذا الوقت، ليلة الخميس القادم تجدني أو أجدك، وليكن لقاؤنا مصادفة، وسوف أخبرك على كل الترتيبات والتنسيق بين جماعتكم وجماعتنا"[68] ومن ثم تحقق النصر: "وعند الفجر استيقظ أهالي السهل على ألسنة النيران وهي تتصاعد من النجع السياحي وتلتهم الأخضر واليابس"[69] وبهذا ندرك أن المقصود

64- دان سبيربر وديدري ولسون، نظرية الصّلة أو المناسبة، ص299.

65- نفسه، والصفحة ذاتها.

66- نفسه، ص92-93.

67- نفسه، ص93.

68- أحمد نصر، السهل، ص127.

69- نفسه، ص176.

التخاطبي ليس مجرد الإخبار عن ريم، بل عما تسبب عنها، أي الإخبار عن مجيء عثمان إلى إلى السهل، وتعرفه على حسين، واتحاد جماعته بجماعة خليل عثمان الليبية، ونجاحهما في تحقيق النصر، ومادامت ريم سبباً في مجيء خليل عثمان الذي تسبب عنه تعرف حسين على خليل عثمان واتحاد جماعة حسين المصرية مع خليل عثمان الليبية، ومن ثم تحقق النصر، فمناسبة خطاب العنونة (ريم) للمقصد التخاطبي منه، تتحقق بمفعول المجاز عن طريق العلاقة السببية.

وبما أن (ريماً)، وما تسبب عنها وقع في السهل، فإن مناسبة خطاب العنوان الداخلي لخطاب العنوان الرئيس (السهل) تتحقق عن طريق العلاقة المحلية.

وبما أن خطاب العنوان الداخلي (ريم) يبلغ عن اتحاد مخصوص بين جماعة حسين وجماعة خليل عثمان الليبية، ونجاحهما في تحقيق النصر، والمقصد التخاطبي النصي عن عموم الوحدة العربية ودورها في تحقيق النصر، فمناسبة العنوان الداخلي للمقصد التخاطبي النصي تتحقق عن طريق علاقة خصوص.

3-1-2- الممثل بشكل غير حرفي صريح للشخصية:

ويكون التمثيل غير الحرفيّ صريحاً عندما يكون "تطويراً لصيغة منطقية مُشفّرة بالقوْلة"[70]، وهذا النّمط من التّمثيل لا يرقى إلى درجة التّمثيل المجازي، إنّما يقع في منزلة بين الحرفيّ والمجازيّ، كما في خطاب العنوان الداخلي: "هي" المصاحب لرواية (وميض في جدار الليل)، فما المقصد التخاطبي منه؟ وكيف يحقق مناسبته لسياق الخطاب الروائي العنوان الرئيس (وميض في جدار الليل) والمقصد التخاطبي النصي الذي يبلغ عن الاضطهاد الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والتحرر منه؟

إن الصورة المنطقية لخطاب العنوان (هي) تشير إلى وجود شخصية معينة، وهذه الشخصية أنثوية عاقلة، لأنه من المعارف الموسوعية الضمير (هي) تشير إلى المؤنث العاقل، فما المرجع المناسب الذي يحيل عليه؟، ولإدراك المرجع يتوجب توسيع السياق نحو المقام الروائي والأقوال الواردة فيه.

70- دان سبيربر، ديدري ولسون، نظرية الصّلة أو المناسبة، ص311.

بتوسيع السياق نحو المقام الروائي، والأقوال الواردة في هذا القسم تحديداً من القول: "لتتولى أمكِ الطيبة الساذجة المهمة"، والقول "ثم تنتظري همس أمك"[71]، ثمة شخصيتان أنثويتان عاقلتان في السياق الروائي، (بنت) و(أمها) فأيهما المرجع المناسب للضمير (هي)؟

وبزيادة توسيع السياق تحديداً من القول: "تنهض من سريرها، تفرك عينيها، تمط جسدها النحيل، وتقترب من النافذة، تدفع مصراعي النافذة برفق، تمرر بصرها على النوافذ المغلقة في المبنى المقابل، ثم تطل على الشارع"[72] ندرك أن هناك فتاة عبر عنها بضمير الغيبة (هي) المضمر في الأفعال (تنهض، تفرك، تمط، تقترب، تدفع، تمرر، تطل)، وبتأويل هذا الضمير نجده يعود على البنت، إذ يتّضح من القول السابق أنها هي الشخصية الوحيدة التي استيقظت أو التي بأّر حدث استيقاظها: "ولكن اليوم لم تنتظري همس أمك، كأن جرس المنبه رن بداخلك ليوقظك مع السابعة تماماً كالعادة"[73] وبما أن هذه الشخصية هي الوحيدة التي عبر عنها بضمير الغيبة (هي) فإن مرجع العنوان الداخلي هو ذاته مرجع الضمير في الأفعال (تنهض، تفرك، تمط، تقترب...) ولإدراك مرجع العنوان الداخلي يتطلب إدراك مرجع الضمير المضمر في تلك الأفعال، فما مرجع الضمير في تلك الأفعال؟

بتوسيع السياق تحديدا من القول: "تفتح نافذة في المبنى المقابل فتترك "نجية" النافذة وتسدل الستارة، تعود وتجلس على حافة السرير..."[74]، ندرك أن المرجع المناسب للضمير (هي) في الأفعال السابقة هو "نجية"؛ لأن قوله: (فتترك النافذة) يقتضي أنها كانت واقفة على النافذة، وقوله: (تعود وتجلس على حافة السرير) يقتضي أنها كانت في سريرها قبل أن تقف على النافذة، وقوله: (تفتح نافذة في المبنى المقابل) يقتضي أن النافذة كانت مغلقة، وأيضاً الشخصية (هي) في الأفعال السابقة: (تنهض، تفرك، تمط، تقترب...) كانت في سريرها ثم نهضت ووقفت على النافذة، وكانت نوافذ المبنى المقابل لها مغلقة، وبما أن مرجع الضمير في الأفعال (تنهض، تفرك، تمط، تقترب...) هو نجية، فمرجع العنوان الداخلي (هي) أيضاً هو الشخصية

71- أحمد نصر، وميض في جدار الليل، ص9.

72- نفسه، والصفحة ذاتها.

73- أحمد نصر، وميض في جدار الليل، ص9.

74- نفسه، ص10.

(نجية)، والاكتفاء بهذا التأويل يبدو أن المقصد من العنوان الداخلي هو الإخبار عن وجود شخصية روائية أنثوية، تدور أحداث القسم حولها، وهذا التأويل يبدو غير مناسب؛ لأنه لا يضيف خبراً جديداً، لأن القارئ سيدرك وجود الشخصية بمجرد قراءة الخطاب الروائي، فما المقصد التخاطبي المبلغ به؟ وكيف يحقق مناسبته لخطاب العنوان الرئيس (وميض في جدار الليل) وللمقصد التخاطبي النصي الذي يبلغ عن الاضطهاد الاجتماعي والسياسي والتبعية الاقتصادية والتحرر منها؟

بزيادة تمديد السياق، نجد أن نجية تعرضت للاضطهاد الاجتماعي، فحرمت من إتمام دراستها: "ساعتها قال الأب كلمته الساحقة: مناخ الجامعة لا يشجع دخول الفتاة، ولو كان هناك هناك كلية بنات خاصة ما كان لدي مانع..."[75] فظلت حبيسة البيت: "لا تحدثني على الهواء الطلق.. فأنا بائسة.. بائسة.. لا أغادر عتبة البيت إلا مع أمي في زيارة أو في صحبة أبي إلى إلى المستشفى..."[76] وبزيادة توسيع السياق نجد أن الاضطهاد الاجتماعي يلاحقها حتى داخل البيت، فبمجرد ما يقابل نافذتها رجل تغلقها، ولا تنظر إليها إلا خلسة: "تلمح شيخاً يتحرك تحت نور الكهرباء داخل الحجرة.. تهتز، وتتراجع عن حافة النافذة، تمتد يداها على اليمين وعلى الشمال تأخذان بسجفي الستارة..

لعل صاحبنا رجل.. ربما يكون شيخاً...

الشيخ يخرج إلى الشرفة، يتجسد رجلا، تسرع يداي فتجذب سجفي الستارة فيلتقي طرفاهما.

رجل؟ هو رجل.. شاب؟ ربما.. لكنه بالتأكيد ليس شيخاً..

أرقبه من فرجة بين الستارتين... أغالب فتور أطرافي وأنهض، أعود إلى النافذة تفتح أصابعي فرجة بين سجفي الستارة وتقترب عيني... الصبح يفصح عن وجه شاب جالس في الشرفة.."[77] وبتوسيع السياق نجده يلاحقها حتى وهي تكلم كاتبها، فتكلمه دون أن تعرفه

75- نفسه، والصفحة ذاتها.

76- نفسه، ص32.

77- أحمد نصر، وميض في جدار الليل، ص17.

بنفسها: "إذا كان لا بد فعليك أن تختار لي اسماً من عندك.. بم تحب أن تدعوني؟"[78]، وتقفل الهاتف فجأة وهي تعطيه اسم فتاة: "لكن الباب ورائي فتح فجأة فانتفضت كالملسوعة، وتلعثم لساني:

–أأ.. نعم.. نعم.. مع السلامة يافوزية..

وألقيت بالسماعة على الهاتف أقفل الخط في وجهه"[79]

وبزيادة توسيع السياق نحو أقوال أخرى، نجد أنها استطاعت أن تتحرر وتنطلق عبر نافذة غرفتها: "من هذه النافذة أطل أتأمل الصمت في ابتسامة الصباح، استشعر الراحة في حرية الانطلاق، أقترب من النافذة.. أدفع مصراعيها فيحدثان صفقة.. من هنا كان انفتاح ذراعي وانطلاق أنفاسي.. سأنهض مع الفجر، وسأفتح نافذتي كالعادة، وليجلس كما يحلو له في شرفته شرفته كما يحلو له، وسوف أطل على الشارع بكل حرية، وأغسل وجهي في ثغر الفجر كل يوم... وليفعل ما بدا له؛ فأنا حرة في نافذتي.. حرة.. حرة"[80]، وبمساعدة صديقتها تمكنت من الخروج إلى جمعية نسائية: "من خلال غلالة سوداء تنسدل على وجهي، من خلال ظلال لتقاليد مهترئة تخسف فوق جبيني القمر، أشاهد الدنيا والحياة، وأمشي مع فوزية كتفًا لكتف للمرة الثالثة، في طريقنا إلى الجمعية النسائية"

وبزيادة توسيع السياق نجد أنها تحررت من العادات الاجتماعية فأكملت دراستها: "لا بل أنت ستواصلين دراستك"، وكلمت قارءها، وأفصحت له عن نفسها: "طيب ما دمت عندك لست مجرد قارئة فلابد أن أعرفك بنفسي، غير أنه قبل أن أفعل لا بد أن أسمعك حكايتي.. أعندك وقت لتسمع حكايتي؟" وقابلته في الشرفة: "هيا إلى الشرفة".

ومن ذلك ندرك أن المقصد التخاطبي من العنوان (هي) هو الإخبار عن تعرض نجية للاضطهاد الاجتماعي، وتحررها منه، وبما أن نجية وقع عليها الاضطهاد، وهي فاعلة التحرر التحرر منه، فالعنوان الداخلي (هي) يتناسب مع المقصد التخاطبي منه، عن طريق علاقتين

78– نفسه، ص45.

79– نفسه، ص45.

80– نفسه، ص25.

الأولى: علاقة مفعولية؛ لأن نجية وقع عليها الاضطهاد الاجتماعي، والثانية: عن طريق علاقة علاقة فاعلية، لأنها فاعلة التحرر من الاضطهاد الاجتماعي.

وبما أن نجية فاعلة للتحرر فهي فاعلة للوميض، الذي يبلغ عنه عنوان الخطاب الرئيس، فمناسبة العنونة بـــ(نجية) لخطاب العنوان الرئيس عن طريق العلاقة الفاعلية، وبما أن خطاب العنوان الداخلي يبلغ عن اضطهاد اجتماعي وتحرر منه مخصوص بنجية، والمقصد التخاطبي النصي عن عموم الاضطهاد الاجتماعي والتحرر منه، فالعنوان الداخلي يتناسب مع المقصد التخاطبي النصي عن طريق علاقة الخصوص.

3-1-3- الممثل بشكل صريح غير حرفي:

قد يستعمل العنوان بشكل صريح غير حرفي، كما في خطاب العنوان الداخلي "الراعي" المصاحب لرواية (السهل)، فما المقصد التخاطبي منه؟ وكيف يحقق مناسبته لخطاب العنوان الرئيس (السهل)، وللمقصد التخاطبي النصي الذي يبلغ عن دور الوحدة العربية في تحقيق النصر؟

لإدراك المقصد التخاطبي المبلغ بخطاب العنوان الداخلي، يتطلب في خطوة أولى تحديد مرجع الراعي، فمن الصورة المنطقية خطاب العنوان الداخلي (الراعي) الذي يشير إلى وجود شخصية ذكورية معينة تمتهن الرعي، ومن المقام الروائي ثمة شخصية ذكورية ترعى قطيعاً تدعى حسين: "عيناه ترنوان إلى.. ذلك السهل المعشب.. بينما المساء يهبط بسكونه وجلاله متسللا يغمر المراعي.. ويعود بنظراته إلى القطيع المتناثر حوله.. حث حسين خطاه ورفع عصاه هاشاً على مؤخرة القطيع المتباطئ. كانت صغار الخراف تتواثب متجاذبة خارج جماعات القطيع..."[81]، وبهذا فشخصية حسين هي المرجع المناسب للراعي، لوجود صفة مشتركة بينهما، وهي الذكورة والرعي، وبما أن حسين ليس فقط مجرد راعٍ؛ بل هو ثائر: "انبثق عن الجماعة جناح ثائر، يحمل السلاح ويستعد للفداء، ويعمل في سرية لمكافحة الوجود الأجنبي وأعوانه، فانضم حسين إلى العمل في هذا الجناح"[82] وطالب باللغة الإنجليزية: "فهو

81- أحمد نصر، السهل، ص9.

82- نفسه، ص62.

طالب مقيد بالسنة الرابعة قسم اللغة الإنجليزية"[83]، فالمشابهة غير تامة، وبهذا فخطاب العنوان الداخلي يتناسب مع المرجع الذي يحيل عليه، عن طريق التمثيل الصريح غير الحرفي، والاكتفاء بهذا التأويل يبدو أن المقصد من خطاب العنوان الداخلي الإخبار عن شخصية الراعي، التي تدور حولها الأحداث، وهذا لا يتناسب مع خطاب العنوان الرئيس والمقصود التخاطبي النصي.

وبتوسيع السياق نجد أن حسيناً لجأ إلى الرعي هروبا من الملاحقة: "فلم يقل له أنه عضو في جمعية "إحياء التراث"، وإن رئيسها أستاذه ورائده.. كان يملأ حياته بفكره واتجاهاته في بناء الأمة المعاصرة، وإنه قد استدعي للتحقيق مجدداً أكثر من مرة، وعندما قبض على أستاذه في المرة الأخيرة، وقضى في دهاليز التحقيق بعد أيام معدودات؛ انبثق عن الجماعة جناح ثائر، يحمل السلاح ويستعد للفداء، ويعمل في سرية، لمكافحة الوجود الأجنبي وأعوانه، فانضم فانضم حسين إلى العمل في هذا الجناح، حتى إذا بدأت حملة شرسة تلاحق الجماعة أوعز إليه إليه بعض أفراد الأمن من أتباع الأستاذ بالهروب... ؛ بل ومهدوا له الطريق إلى الفرار"[84]، وهو يرفض الحدود بين الوطن العربي، وشارك في وحدة الثورة بين الليبيين والمصريين: "سيكون دائماً لقاؤنا هنا في هذا النجع السياحي، وفي مثل هذا الوقت، ليلة الخميس القادم تجدني أو أجدك، وليكون لقاؤنا مصادفة، وسوف أخبرك عن كل الترتيبات والتنسيق بين جماعتكم وجماعتنا"[85]، "كان النجع السياحي هذا المساء واجماً أيضاً... هذا ميعاد خليل عثمان، ولكن الجو الخامد يوحي بخلف المواعيد وتوقع المفاجآت،... وما حدث أنه لم يكد ينتهي من مشروب الكوكاكولا حتى كان خليل عثمان إلى جانبه، تبادلا التحيات، ثم مرت بهما لحظات صمت قطعها حسين بقوله:

تأمل هذا الهدوء الذي يجثم على النجع..

إنه الهدوء الذي يسبق العاصفة...

ولكن العاصفة كانت البارحة..

83- نفسه، ص38.

84- نفسه، ص62.

85- نفسه، ص114.

تلك كانت زوبعة.. العواصف لم تبدأ بعد"[86].

"وعند الفجر استيقظ أهالي السهل على ألسنة النيران، وهي تتصاعد من النجع السياحي وتلتهم الأخضر واليابس"[87]، ومن هذا ندرك أن المقصد من خطاب العنوان الداخلي ليس مجرد الإخبار عن وجود شخصية الراعي حسين، وإنما الإخبار عن اتحاد حسين وجماعته المصرية مع جماعة خليل الليبية، ومساهمتهم في تحقيق النصر، ورفضه للحدود بين الوطن العربي، وبما أن حسيناً فاعل للاتحاد والرفض والنصر فمناسبة العنوان (بالراعي) للمقصد التخاطبي النصي عن طريق علاقة فاعلية.

وبتوسيع السياق نجد أن الراعي موجود بسهل بين مصر وليبيا، وهو السهل الذي يحيل عليه خطاب العنوان، وبما أن السهل محل للراعي، ومحل لاتحاده مع جماعة خليل عثمان الليبية، فالعلاقة بين العنوان الرئيس والداخلي علاقة محلية.

وبما أن عنوان الخطاب الداخلي يبلغ عن رفض للحدود مخصوصة بحسين، واتحاده هو وجماعته المصرية مع جماعة خليل عثمان الليبية، ونجاحهما في تحقيق النصر، والمقصد التخاطبي النصي يبلغ عن دور اتحاد عموم العرب، ورفضهم في تحقيق النصر فمناسبة العنوان الداخلي للمقصد النصي تحققت عن طريق علاقة خصوص.

3-2- الممثل لمكان روائي:

إن خطاب العناوين الداخلية في أعمال أحمد نصر ليست مقصورة على تمثيل شخصية روائية، بل بعضها تمثيل لمكان روائي، وبتتبع العناوين الداخلية في أعماله نجد ثلاثة عناوين جاءت تمثيلا لمكان روائي، واحد مثل المكان بشكل حرفي، وهو العنوان الداخلي (النجع السياحي) المصاحب لرواية (السهل)، واثنان مثلا العنوان تمثيلا صريحاً غير حرفي، وهما: (الحي الجديد) و(الحي القديم) المصاحبين لرواية (وميض في جدار الليل).

86- أحمد نصر، السهل، ص114.

87- نفسه، ص157.

3-2-1- الممثل بشكل حرفي:

قد يكون العنوان تمثيلاً حرفيًّا لمكان روائي، كما في خطاب (النجع السياحي) المصاحب لرواية السهل، فما المقصد التخاطبي منه؟ وكيف يحقق مناسبته لخطاب العنوان الرئيس "السهل؟ وللمقصد التخاطبي النصي؟

إن الصورة اللغوية لخطاب العنوان تشير إلى وجود نجع معين للسياحة، ومن المقام الروائي ومن الأقوال السابقة ثمة مكان يدعى النجع السياحي: "هناك سنذهب لنحضر افتتاح النجع السياحي معا"[88]، فهذا النجع السياحي هو المرجع المناسب للعنوان الداخلي، والاكتفاء بتعيين المجرد يبدو أن المقصد التخاطبي من العنوان الإخبار عن أن مكان الأحداث في هذا القسم النجع السياحي، وهذا يبدو غير مناسب لخطاب العنوان الرئيس والمقصد التخاطبي النصي.

ومن الأقوال السابقة نجد أن النجع السياحي أقيم في السهل: "رائع إذن يمكنك أن تعمل مع "ديانا" فهي تقول إنها ستبني نجعًا سياحيًّا هنا"[89]، وبتأويل اسم الإشارة (هنا) نجده يعود على السهل الحدودي، وبما أن النجع السياحي أقيم في السهل، فمناسبة العنوان الداخلي للعنوان الرئيس تتحقق عن طريق علاقة محلية.

وبزيادة توسيع السياق نجد أن النجع السياحي كان نقطة التحام الثورة المصرية والليبية ومكان للتنسيق والتخطيط: "سيكون دائما لقاؤنا هنا في هذا النجع السياحي، وفي مثل هذا الوقت ليلة الخميس القادم تجدني أو أجدك، وليكن لقاؤنا مصادفة، وسوف أخبرك على كل الترتيبات والتنسيق بين جماعتكم وجماعتنا"[90]، وبما أن النجع السياحي كان محل اتحاد الثورتين، فهو يتناسب مع المقصد التخاطبي النصي، الذي يبلغ اتحاد الثورتين بعلاقة محلية.

88- أحمد نصر، السهل، ص104.

89- نفسه، ص54. وبتوسع أكثر نجد "لا يا أخي لو كان في مخيلتي حدودا لرأيت الحل بمجرد تخطيها.."، ص104.

90- نفسه، ص114.

وبزيادة وتوسيع السياق نجد أن النجع السياحي تعرض للثورة: "وعند الفجر استيقظ أهالي السهل على ألسنة النيران، وهي تتصاعد من النجع السياحي، وتلتهم الأخضر واليابس"[91]، وبهذا فهو أيضاً يتناسب مع المقصد التخاطبي النصي، بعلاقة مفعولية، لأن الثورة وقعت عليه.

3-2-2- الممثل بشكل غير حرفي صريح:

(الحي القديم) في رواية وميض في جدار الليل، يشير في صورته المنطقية إلى وجود حي معين متصف بأنه قديم، ومن المقام الروائي ثمة حيان؛ (حي "أبو الخير") و(حي ابن عاشور) فأيهما المرجع المناسب للعنوان (الحي القديم)؟ ومن الأقوال السابقة في القسم السابق ثمة حي (أبو الخير) كانت تعيش فيه الشخصية نجية وأسرتها، ثم انتقلت لتعيش في حي (ابن عاشور): "نهضت حتى وضعت يدي على مسند كرسيه ورأيت في المرأة عينيه:

- سنسكن في حي "ابن عاشور"؟!..
- نعم.. بعد نصف ساعة ستكونين في أجمل فيلا بنفس الشارع..
- وكأنني أستجديه أن يترك لي الفرصة، حتى أودع أقرب إنسان إلى قلبي.. قلت:
- لن نذهب إلى شارع "أبو الخير"؟

قال مخيبا آمالي وضاحكا مني:

شارع "أبو الخير"!.. أبوك أصبح نائباً محترماً.. أيليق به أن يدخل شارع "أبو الخير"..."[92]؟ وبتوسيع السياق من الأقوال السابقة نجد أن حي "أبو الخير" هو الحي الذي وصفته الشخصية بالحي القديم: "أول خطوة علينا أن ننتقل إلى شقتنا القديمة بشارع أبي الخير.. لذلك سأسير معهما بنفس الخطى إلى حينا القديم"[93]، وبهذا فالمرجع المناسب هو حي (أبو الخير)، وبهذا يبدو أن المقصد من العنوان مجرد الإخبار عن وجود حي (أبو الخير) أو مكان الأحداث الروائية في هذا القسم، وبما أن القارئ يعلم بوجود هذا الحي القديم من القسم السابق، ويعلم أن مجرى الأحداث سينتقل إليه من قول (أول خطوة علينا أن ننتقل إلى شقتنا

91- نفسه، ص157.

92- أحمد نصر، وميض في جدار الليل، ص85.

93- نفسه، ص116-117.

القديمة بشارع أبي الخير..) وبهذا فالإخبار عن كون الحي القديم هو مكان الأحداث غير مناسب، لأنه لا يضيف خبراً جديداً ولا يتناسب مع المقصد من خطاب العنوان الرئيس والمقصد التخاطبي النصي، وهذا التأويل مجرد تأويل جزئي، يجب إثراؤه للحصول على المقصد التخاطبي.

إن زيادة التوسيع في السياق نحو الأقوال اللاحقة، نجد أنه في هذا الحي (حي "أبو الخير") بعد خروج شريف عمران اتصلت به إلهام، وعرفته عن نفسها "طيب ما دمت عندك لست مجرد قارئة فلابد أن أعرفك بنفسي، غير أني قبل أن أفعل لابد أن أسمعك حكايتي.. أعندك وقت لتسمع حكايتي؟"(94)، وخرجت لمقابلته بعد أن كانت تنظر إليه من خلف الستارة، وبعد أن كان ينظر إليها خلسة من تحت نظارته: "هيا إلى الشرفة".

وفي هذا الحي أيضاً هناك وميض بالتغيير السياسي: "قلت مازالت المسؤولية الأولى مسؤولية طلائع هذا الشعب بمختلف فئاته، غير أن النضال يجب أن يأخذ بعدين، بعداً يركز على قضية التغيير في القاعدة الجماهيرية..

قال الحاج مفتاح مقاطعاً:

– إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم؟

أضفت مكملاً:

– والبعد الثاني الاستعداد للعنف في لحظة تقتلع النظام من جذوره..

قال مفتاح الدرناوي مشيراً إلى عبدالله وعلي:

– وهذه عندكم يا شباب الجيش..

وعندما هم عبدالله وعلي واستأذنا، خرجت أودعهما إلى السلم، وهناك وعبدالله يقبض على كفي، همس في أذني:

– أما عن البعد الثاني فالطلائع بخير..

أدخل في نفسي تفاؤلاً كبيراً وهو يقذف في أذني بهذه الهمسة.. تفاؤلاً بدد كثيراً من ظلال تكاثفت في باطني عبر الشهور التي قضيتها في السجن.."(95).

94– نفسه، ص121.

95– أحمد نصر، وميض في جدار الليل، ص124.

وبهذا نستدل على تحطم القيود والاضطهاد الاجتماعي، الذي كان مفروضاً على نجية، وتحررها منه، وبهذا فالمقصد ليس الإخبار عن عودة نجية للحي القديم، وإنما عن تحرر نجية من الاضطهاد الاجتماعي، وبما أن الحي القديم محل للاضطهاد الاجتماعي والتحرر منه فالعنوان الداخلي يتناسب مع المقصد منه عن طريق العلاقة المحلية، وبما أن المقصد النصي عن عموم الاضطهاد الاجتماعي والسياسي والتبعية الاقتصادية التحرر منه، والعنوان الداخلي عن اضطهاد اجتماعي مخصوص بنجية، واضطهاد سياسي مخصوص بسكان الحي أبو الخير فإن المقصد من العنوان الداخلي يتناسب مع المقصد النصي، عن طريق علاقة الخصوص، وعن مناسبة العنوان الداخلي للعنوان الرئيس، عن طريق العلاقة المحلية لأن الحي القديم محل الوميض.

4- الخاتمة:

تناولت الدراسة المقصد التخاطبي، وتوصلت إلى أن ما يريد المؤلف تبليغه بالعنوان، غير ما تصرح به صيغته القضوية، وهو الإخبار عن مكان الأحداث أو زمانها أو الشخصية أو موضوع الرواية، إذ لا يريد المؤلف مجرد الإخبار عن مكان الأحداث أو زمانها أو الشخصية أو موضوع الرواية، فهو يعلم أن القارئ سيدرك ذلك من السياق الروائي؛ بل إن ما يريد إبلاغه غير صريح، وقد استعمل الإخبار الصريح فقط لأجل تمرير مقصده الضمني.

ويمكن القول: إن للعنوان دلالتين؛ دلالة صريحة غير مقصود، ودلالة غير صريحة، ضمنية، وهي المقصد التخاطبي الذي أراد المؤلف إبلاغه، وإدراك المقصد التخاطبي ذاك، يتم بمزيد من العمليات الاستدلالية، التي تنطلق من الدلالة الصريحة غير المقصودة، تتوسع نحو سياق تأويلي يستمد مصادره من الأقوال السابقة أو اللاحقة، والمعارف الموسوعية والمقام الروائي.

إن الوقوف عند الدلالة الصريحة للعنوان، يجعل العنوان يبدو غير مناسب للمقصد التخاطبي النصي، والدلالة الصريحة للعنوان مجرد تأويل أولي جزئي، أو صورة منطقية تحتاج إلى إثراء، لإدراك المقصد التخاطبي الذي قصد المؤلف إبلاغه بخطاب العنوان. وهذا المقصد التخاطبي الضمني، كفيل بضمان مناسبة العنوان للسياق الروائي الذي صاحبه، وهو تأثير إضافي ناتج عن زيادة في الجهد الإدراكي.

وبينت الدراسة أن خطاب العنوان الرئيس والداخلي في روايتي أحمد نصر: وميض في جدار الليل، والسهل، قد تنوع، بين تمثيل شخصية روائية، ومكان روائي، والموضوع الذي تدور حوله الأحداث، وجميع العناوين الرئيسة أو الداخلية عبر عن المقصد المبلغ بها بشكل ضمني، عن طريق الاستعارة أو المجاز، وارتبطت بالمقصد التخاطبي النصي عن طريق المجاز.

فخطاب العنوان الرئيس الممثل للموضوع المقصد منه عن طريق الاستعارة، وناسب المقصد من العنوان المقصد النصي عن طريق المجاز بعلاقة الخصوص، وخطاب العنوان الممثل لمكان روائي، عبر عن المقصد المبلغ به عن طريق المجاز بعلاقة محلية، وتحققت مناسبة المقصد التّخاطبيّ من خطاب العنوان للمقصد التّخاطبيّ النّصّي عن طريق علاقة خصوص كما في العنوان (السهل).

إن خطاب العناوين الداخلية الممثلة للشخصية: بعضها عبر عن المقصد التخاطبي للعنوان عن طريق المجاز، بعلاقة سببية، وناسب العنوان الرئيس عن طريق العلاقة المحلية، وناسب المقصد النصي عن طريق علاقة الخصوص، كما في العنوان الداخلي (ريم). وبعضها عبر عن المقصد المبلغ به عن طريق العلاقة المفعولية والفاعلية، وناسب العنوان الرئيس عن طريق العلاقة الفاعلية، وناسب المقصد النصي عن طريق علاقة الخصوص، كما في العنوان (هي) في رواية وميض في جدار الليل. وبعضها عبر عن المقصد المبلغ به عن طريق المجاز بعلاقة فاعلية، وناسب العنوان الرئيس عن طريق المجاز بعلاقة محلية، وناسب المقصد النصي بفعل المجاز بعلاقة خصوص، كما في العنوان (الراعي). أما العنوان الداخلي الممثل المكان، فبعضها ناسبت العنوان الرئيس عن طريق العلاقة المحلية، وناسب المقصد النصي عن طريق العلاقة المحلية والمفعولية، كما في العنوان (النجع السياحي). وبعضها عبر عن المقصد المبلغ به عن طريق العلاقة المحلية، وناسب المقصد النصي عن طريق علاقة الخصوص، وناسب العنوان الرئيس عن طريق العلاقة المحلية كما في العنوان (الحي القديم).

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر.

1- أحمد نصر، وميض في جدار الليل، ط3، دار المنار، مصراتة – ليبيا، 2007م.
2- أحمد نصر، السهل، ط2، جامعة مصراتة، ليبيا، 2007م.

ثانيًا: المراجع.

1- أحمد الشيلابي، القضايا الاجتماعية في الرواية الليبية (1961-1995م)، دار الشعب، ط1، مصراتة – ليبيا، 2003م.
2- أوزالد ديكرو وجان ماري سشايفر، المعجم الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، ت: منذر العياشي، ط1، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2007م.
3- جاك موشلار، آن روبول، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ت: يوسف دعفوس، محمد الشيباني، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت – لبنان، 2003م.
4- جاك موشلر، آن ريبول، القاموس الموسوعيّ للتّداوليّة، ت: مجموعة أساتذة، المركز الوطني للترجمة، ط2، تونس، 2012م.
5- جيوفري ليتش، مبادئ التداولية، ت: عبدالقادر قنيني، أفريقيا الشرق، ط1، المغرب، 2013م.
6- حنان ميلاد أبوسكساكه، الخطاب المصاحب للرواية الليبية من 2000 إلى 2010م، رسالة ماجستير مرقونة، قسم اللغة العربية / كلية الآداب، جامعة مصراتة، ليبيا، 2016م.
7- حواء الشويرف، الخصائص الشكلية والدلالية في رواية السهل لأحمد نصر، رسالة ماجستير مرقونة، قسم اللغة العربية / كلية الآداب، جامعة مصراتة، ليبيا، 2009م.
8- دان سبيربر وديدري ولسون، نظرية الصِّلة أو المناسبَة في التواصل والإدراك، ت:هشام إبراهيم عبدالله الخليفة، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، بيروت – لبنان، 2016م.
9- رحاب محيسن، معاني النحو في رواية وميض في جدار الليل لأحمد نصر، رسالة ماجستير مرقونة، قسم اللغة العربية / كلية الآداب، جامعة مصراتة، ليبيا، 2006م.

10- سليمان كشلاف، التاريخ عندما يروى، كتابات ليبية، المنشأة العامة للنشر، ط1، طرابلس – ليبيا، 1977م.
11- سمر روحي الفيصل، نهوض الرواية العربية الليبية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ط1، دمشق – سوريا، 1990م.
12- شكري المبخوت، نظرية الأعمال اللغوية، مسكيلياني للنشر، تونس، 2008م.
13- عبدالله مليطان، معجم الأدباء والكتاب الليبيين المعاصرين، ط1، دار مداد، طرابلس – ليبيا، 2001م.
14- عبدالملك أشهبون، العنوان في الرواية العربية، دار محاكاة، ط1، دمشق – سوريا، 2011م.
15- علي برهانة، الرواية الليبية مقاربة اجتماعية، جامعة التحدي، ط1، جامعة سرت، 2009م.
16- فاطمة الزهراء فتاك، التواصل من منظور نظرية المناسبة؛ لدلن سبيبر ودردر ويلسن، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، جامعة حسيبة بن علي – الشلف، الجزائر، مج12، ع11، القسم (ج)، الآداب والفلسفة، 2019م.
17- محمد القاضي وآخرون، معجم السرديات، ط1، دار الملتقى، المغرب، 2010م.
18- محمود محمد ملودة، تمثيلات المثقف في السرد العربي الحديث، الرواية الليبية أنموذجاً، ط1، عالم الكتاب الحديث، إربد – الأردن، 2010م.
19- نجلاء شنيبو، الراوي في السرد العربي المعاصر بين الرؤية والصوت، الرواية الليبية أنموذجا، رسالة ماجستير مرقونة، حقسم اللغة العربية / كلية الآداب، جامعة مصراتة، ليبيا، 2013م.